

مختصر في الدعاء

محاضرة أقيمت في كلية الشريعة

د. عبدالله الشريكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد،

فأرحب بكم أيها الأخوة والأخوات في هذا اللقاء، وأشكر النشاط الديني في إدارة شؤون الطلبة على إقامة مثل هذا الملتقى، وغيره من الجهود الطيبة، أسأل الله جل في علاه أن يثقل موازينهم، وأن يشكر سعيهم على عنايتهم بأبنائهم الطلاب والطالبات، والحرص على تثقيفهم لا حرمهم الله الأجر والثواب.

أما موضوعنا فهو حول أمر عظيم من أمور الدين، وحول عبادة جليلة أمر الله تبارك وتعالى بها، وأخبر سبحانه عن حبه لها ألا وهي الدعاء، الذي قال الله تبارك وتعالى فيه: ﴿وَقَالَ

رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

والدعاء عبادة انتفع بها العباد، فكم من هموم فرجها الله عز
وجل بدعوة صادقة، وكم من كرب كشفها الله تبارك وتعالى
بصدق الدعاء، وكم من غائب رده الله بدعوة من أمه أو أبيه، وكم
من مريض عافاه الله عز وجل بالدعاء، والتوفيق للدعاء من أعظم
نعم الله تبارك وتعالى على عباده.

وسأجري الكلام بحول الله تعالى على شكل مسائل:

المسألة الأولى - تعريف الدعاء:

الدعاء في اللغة هو: الطلب.

وفي الشرع هو: سؤال الله تبارك وتعالى . أن يسأل الإنسان ربه جل في علاه، وهو ما أمر الله به كما في قوله جل وعلا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، وقوله عز من قائل: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ١٤].

والنبي ﷺ علم ابن عمه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن يدعو الله وحده فقال له: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ»^(١).

وكم من نبي من الأنبياء حكى الله عز وجل أحواله، فذكر من دعائه ما ذكر، بل لعلك لا تكاد تجد نبياً إلا وذكر الله تبارك وتعالى له في القرآن دعوة.

فهذا إبراهيم عليه السلام كان من دعائه أن قال: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٤٠].
ويونس عليه الصلاة والسلام حين ابتلعه الحوت في ذلك

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٠٣/١)، والترمذي في جامعه (٢٥١٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

الموقف العصيب دعا الله تبارك وتعالى، فقال ربنا على لسانه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وأيوب عليه السلام قال الله عنه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وذكر الله دعاء زكريا وموسى، ومحمد ﷺ، وأدعية كثيرة عن الصالحين وعباده المؤمنين.

المسألة الثانية - أقسام الدعاء

يقسم العلماء الدعاء وفق استقراءهم لنصوص الكتاب والسنة إلى قسمين:

١ - دعاء عبادة.

٢ - دعاء مسألة.

ولتتضح هذه الصورة أقول: الدعاء يتضمن أمراً مهماً، وهو أن الإنسان بدعائه إما أن يطلب جلب منفعة، أو يطلب دفع مضرة ومفسدة. والإنسان في الصلاة وفي الصيام والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه العبادات لماذا يفعلها؟

يريد ويطلب مرضاة الله تبارك وتعالى، ويسأل الله عز وجل بلسان حاله النجاة من سخطه. لذلك كل العبادات هي من دعاء العبادة.

والدعاء التعبدي من دعاء العبادة؛ لأن الإنسان لا يقوم به إلا لجلب مصالح أو لدفع مضار عن نفسه، يرجو الجنة والنجاة من النار.

وأما دعاء المسألة فهو أن يسأل الله تبارك وتعالى بلسان مقاله،

كأن يقول: اللهم ارحمني، اللهم اغفر لي، اللهم ارزقني الزوجة الصالحة، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وغيرها من الأدعية.

فالدعاء منه ما يكون دعاء عبادة، ومنه ما يكون دعاء مسألة، والعبادة من صرف منها شيئاً لغير الله تبارك وتعالى فقد وقع في الشرك، كما قال عز وجل: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

ودعاء المسألة لا يخلو الإنسان فيه من حالين: إما أن يسأل الخالق سبحانه وتعالى، أو يسأل المخلوق .

وما يسأله ويطلبه من المخلوق إما أن يكون أمراً يقدر عليه ذلك المخلوق فهذا مما لا بأس به، وإما أن يكون مما لا يقدر عليه إلا الله فهذا من الشرك.

مثل أن يطلب من مخلوق أن يرزقه ولدًا صالحاً، أو يطلب منه أن يغفر له ذنوبه، أو يطلب منه أن يدخله الجنة، وهذه الأمور لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى، فمن طلب من المخلوق ما لا

يقدر عليه إلا الله فإنه والعياذ بالله قد وقع في الشرك، عافانا الله
وإياكم.

المسألة الثالثة - فوائد الدعاء:

الدعاء له فوائد عديدة وآثار جميلة جداً، فمن فوائده:

- أنه عبادة لله تبارك وتعالى، كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١). وتقدم معنا قوله جل وعلا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾.

فالدعاء عبادة، وهذه من أعظم فوائده؛ لأنك تتعبد الله تبارك وتعالى بهذا الدعاء.

- أنه استجابة لأمر الله جل وعلا؛ لأن الله عز وجل أمر بدعائه فقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾، وكما قال جل في علاه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

- أنه يدفع غضب الله عز وجل، كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي في جامعه: «مَنْ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧١ / ٤) وأصحاب السنن عدا النسائي من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٠٧).

لَمْ يَسْأَلِ اللَّهُ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»^(١). وفي رواية: «مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٢). فالذي لا يدعو الله تعالى يغضب عليه الله عز وجل، والدعاء ينجيه من هذا الغضب.

- ومن فوائده كذلك: أنه سبب لجلب المصالح ودفْع المضار والمفاسد، وقد قال النبي ﷺ كما عند الإمام أحمد: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِيْمٌ وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ».

ما من دعوة تدعو بها يا عبدالله إلا ولك إحدى ثلاث ذكرها النبي ﷺ في هذا الحديث، وهي:

الأولى - «إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ». فيستجيب الله له هذه الدعوة في الدنيا.

الثانية - «وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ». يدخر له هذا الدعاء ليوم القيامة في ذلك اليوم العصيب.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٤٢/٢)، والترمذي في جامعه واللفظ له (٣٣٧٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٤١٨).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٤٣/٢)، وابن ماجه في سننه (٣٨٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٦٥٤).

الثالثة - «وَأَمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشُّوْءِ مِثْلَهَا» . يصرف الله

عنه من السوء مثل هذه الدعوة .

قالوا: إذن نُكثِرُ؟ - أي نكثر من الدعاء - فقال صلى الله عليه

وسلم: «اللهُ أَكْثَرُ» (١).

فلا تستكثر بدعائك الله تبارك وتعالى؛ كلما دعوت دعوةً

فإنك ستحوز إحدى هذه الثلاث بإذن الله تبارك وتعالى . وهذا لا

شك أنه من عظيم فضله سبحانه وتعالى .

وكم من مكروب أغلقت في وجهه الأبواب، وتخلي عنه

الأهل والأحباب والأصحاب، ثم لجأ إلى الله سبحانه وتعالى، إلى

الرحمن الرحيم، ففرج الله عنه كربته.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٨/٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه،
والترمذي في جامعه (٣٥٧٣) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وقال الألباني
في «صحيح الترغيب» (١٦٣١، ١٦٣٣): «حسن صحيح».

المسألة الرابعة - موانع إجابة الدعاء:

هناك أمور تمنع إجابة الدعاء وهي التي يسميها العلماء:
موانع إجابة الدعاء، ومن أعظم هذه الموانع:

- أكل الحرام: من يأكل المال الحرام وهو الذي يأكل المال بغير حق، وبغير وجهه الشرعي، كأن يتحايل على ما حرم الله عز وجل، أو يتساهل في أكل المحرمات، فقد أتى بسبب عظيم من أسباب منع إجابة الدعاء كما ذكر ذلك النبي ﷺ في قصة الرجل الذي يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يقول: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذاه بالحرام، فأنى يستجاب له^(١)؟

فإذا اجتمع في الإنسان أكل الحرام ولبس الحرام وشرب الحرام والتغذية بالحرام، كيف يستجيب له الله تبارك وتعالى! مع أن هذا الإنسان فيه كثير من صفات إجابة الدعوة، وهي: السفر، وأنه أشعث أغبر، ومد اليدين ورفعها إلى السماء، وقد أخبر النبي ﷺ عن استحياء الله عز وجل من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفراً،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ومع ذلك لا يستجيب الله تعالى له بسبب هذا المانع الخطير وهو أكل الحرام ولبسه.

وكما أن أكل الحرام مانع يمنع من إجابة الدعوة، فإن إطابة المطعم سبباً من أسباب قبول الدعاء واستجابة الله تبارك وتعالى له.

- ومن موانع إجابة الدعاء أيضاً: الدعاء بمحرم، كمن يدعو بقطيعة رحم، أو بعقوق والدين، فيقول: اللهم فرق بين فلان وولده، وفرق بين فلانة وزوجها، اللهم فرق بين فلان وأخيه، هذا كله من الدعاء بقطيعة الرحم الذي لا يستجاب.

- ومن موانع إجابة الدعاء: استعجال الإجابة، كما قال صلى الله عليه وسلم: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَاؤُكُمْ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»^(١).

- ومن الموانع: التوسلات البدعية، بأن يدعو الإنسان بدعاء بدعي محدث، يقول: اللهم إني أسألك بجاه فلان أو بجاه فلان، أو التوسل بميت، وهذا من الدعاء الذي لا يجوز بإجماع الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه من

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حديث أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا ﷺ فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا».

وهذا الحديث يدل على أن الصحابة قد أجمعوا على أن النبي ﷺ لا يُتوسل به بعد وفاته؛ لأن هذا الفعل لو كان مشروعاً لاعترض ولو واحد من الصحابة ولقال: لماذا نتوسل بالعباس؟ لتوسل بالنبي ﷺ حتى بعد وفاته . لكن البخاري وأهل العلم لم ينقلوا أن أحداً من الصحابة اعترض على عمر، مما يدل على أن هذا أمر مجمع عليه عندهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال الألباني رحمته الله: «ومعنى قول عمر: «إنا كنا نتوسل إليك بنينا ﷺ وإنا نتوسل إليك بعم نبينا»، أننا كنا نقصد نبينا ﷺ ونطلب منه أن يدعو لنا ونتقرب إلى الله بدعائه، والآن وقد انتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس ونطلب منه أن يدعو لنا، وليس معناه أنهم كانوا يقولون في دعائهم: اللهم بجاه نبيك اسقنا، ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم: اللهم بجاه العباس اسقنا؛ لأن مثل هذا دعاء مبتدع ليس له أصل في الكتاب

ولا في السنة، ولم يفعله أحد من السلف الصالح رضوان^(١).

وقال أيضاً: «وهذا دعاء أقره عليه جميع الصحابة ولم ينكره أحد مع شهرته، وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية، ودعا بمثله معاوية بن أبي سفيان في خلافته، فلو كان توسلهم بالنبي ﷺ بعد مماته كتوسلهم في حياته لقالوا: كيف نتوسل بمثل العباس ويزيد بن الأسود ونحوهما ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق، وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله؟ فلما لم يقل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه وشفاعته، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره وشفاعة غيره، علم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل به لا بذاته»^(٢).

(١) التوسل (٤٠-٤١).

(٢) المصدر السابق (٩٠-٩١).

المسألة الخامسة - آداب الدعاء:

للدعاء آداب ينبغي للمسلم أن يتحلى بها عند دعائه الله جل وعلا، وأن يلتزم بهذه الآداب التي استخلصها العلماء من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، ومن هذه الآداب:

- الإخلاص لله تبارك وتعالى، لا يدعو إلا بإخلاص، قال سبحانه: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقال جل في علاه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

- ومن آداب الدعاء: أن يثني على الله جل وعلا قبل دعائه، فيذكر الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وهذا امتثال لقوله جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولقوله سبحانه: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقد كان النبي ﷺ يدعو الله بأسمائه وصفاته فيقول: «يا حيُّ

يا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»^(١). أي أتوسل إليك برحمتك، فقدم عليه الصلاة والسلام اسم الحي القيوم قبل دعائه . وذكر كثير من أهل العلم أن هذين الاسمين هما الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى الذي إذا دعي به الله عز وجل أجاب.

وجاء عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان جالسا مع النبي ﷺ ورجل يصلي ثم دعا: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم». فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٢).

- ومن آداب الدعاء: استقبال القبلة؛ وذلك أن النبي ﷺ في غزوة بدر حين حمي الوطيس واشتد القتال وبلغت القلوب الحناجر اتجه عليه الصلاة والسلام إلى القبلة فدعا الله تبارك وتعالى بدعائه المعروف عليه الصلاة والسلام.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٣٥٢٤) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣١٨٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٢٠/٣)، وأصحاب السنن، وأخرجوه عدا النسائي من حديث بريدة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٤٠، ١٦٤١).

- ومن آداب الدعاء أيضاً: أن يكون العبد على طهارة، وهذا من استحسان أهل العلم؛ لأن الدعاء عبادة، وأكمل ما يكون الإنسان في عبادته إذا كان على طهارة.

- ومن آداب الدعاء كذلك: أن يصلي على النبي ﷺ؛ فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض، لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ»^(١).
وعن علي رضى الله عنه أنه قال: «كل دعاء محبوب حتى يُصلى على محمد»^(٢).

- ومن آداب الدعاء: أن يلح العبد في دعائه، يقول أبو الدرداء رضى الله عنه: «من يكثر قرع الباب - باب الملك - يوشك أن يفتح له، ومن يكثر الدعاء يوشك أن يستجاب له»^(٣).

- ومن آداب الدعاء: أن يرفع العبد يديه عند الدعاء. وكيفية هذا الرفع كما جاء عن بعض أهل العلم أن يرفعهما كهيئة السائل

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٤٨٦)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/٢٢٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٧٥).
(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١٠/٤٤٢).

المسكين الذي يسأل الناس؛ لقول النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ بِبُطُونِ أَكْفِكُمْ وَلَا تَسْأَلُوهُ بِظُهُورِهَا»^(١). وقد تقدم حديث الرجل الذي يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب.

وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِّي كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مَنْ عَبَدَهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»^(٢)،^(٣).

وبعض الناس إذا رفع يديه مسح وجهه بعد الرفع، أي بعد أن ينتهي من دعائه يمسخ وجهه بيديه، وهذا وإن كان قد جاء فيه أحاديث كثيرة إلا أنه لا يصح منها شيء كما بين المحققون من أهل العلم، وقد ثبت عن بعض السلف، ولكن خير الهدي هدي محمد ﷺ.

- ومن آداب الدعاء: أن يعزم العبد في دعائه، ولا يدعو وهو

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٨٦) من حديث مالك بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٩٥).

(٢) أي: خاوية.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٨٨)، وابن ماجه في سننه (٣٨٦٥)، والترمذي في جامعه (٣٥٥٦) من حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح السنن.

متردد شك في استجابة الله لدعائه، بل يوقن بإجابة الدعاء لقول النبي ﷺ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ»^(١).

وقوله: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»^(٢).

- ومن آداب الدعاء: أن يتحرى العبد أوقات وأماكن وأحوال الإجابة، وهي التي سأذكرها باختصار في المسائل التالية بإذن الله تعالى.

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٧٧/٢) من حديث ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والترمذي في جامعه (٣٤٧٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٩٤).

المسألة السادسة - أوقات إجابة الدعاء:

للدعاء أوقات حري أن يستجاب للبعد فيها، ذكرها النبي ﷺ، واستنبطها العلماء من كتاب الله تبارك وتعالى، منها:

- بين الأذان والإقامة؛ لقول النبي ﷺ: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»^(١).

- في السجود؛ فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؛ فَقَمِينٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»^(٢). وقوله: «فَقَمِينٌ»: أي حري وجدير.

- في ثلث الليل الأخير؛ لقول الله تبارك وتعالى كما في الحديث القدسي: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخْرَى يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(٣).

وامتدح الله تعالى المستغفرين وقت السحر فقال جل ذكره:

-
- (١) أخرجه الإمام أحمد في مسند (١١٩/٣)، وأصحاب السنن عدا ابن ماجه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٠٨).
 - (٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
 - (٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وقال عن عباده

المتقين: ﴿وَيَا لَأَسْحَارٍ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [١٨] [الذاريات: ١٨].

يقول الشيخ السعدي رحمته الله في تفسيره: «للاستغفار

بالأسحار فضيلة وخصيصة ليست لغيره»^(١).

- بعد التشهد في الصلاة وقبل السلام؛ لقوله صلى الله عليه

وسلم: « إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي

أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا

وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ »^(٢).

وقد بوب الإمام البخاري رحمته الله في صحيحه على هذا

الحديث بقوله: «باب الدعاء قبل السلام».

ومن ذلك: قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل رضي عنه:

«أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى

ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٣).

(١) (٨٠٨/١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٤٤/٥)، وأبو داود في سننه (١٥٢٢)، والنسائي في سننه (١٣٠٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٦٩).

- عند القتال؛ لقول النبي ﷺ: «ثُتَانِ لَا تُرَدَّانِ أَوْ قَلَمًا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا» (١).

- عند نزول المطر؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: «أُطْبِئُوا إِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ التَّقَاءِ الْجِيُوشِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَنَزُولِ الْغَيْثِ» (٢).

ومن الأيام التي يتحرى العبد فيها إجابة الدعاء:

- يوم عرفة؛ لقول النبي ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (٣).

- ساعة من يوم الجمعة؛ لقول النبي ﷺ: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لَا يُؤَافِقُهَا مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» (٤).

-
- (١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٤٠) من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٧٩).
- (٢) أخرجه الشافعي في «الأم» (٢٥٣/١)، والبيهقي في «المعرفة» (١٨٦/٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٢٦).
- (٣) أخرجه الترمذي في جامعه (٣٥٨٥) من حديث ابن عمرو رضى الله عنهما، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
- (٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

وفي تحديد هذه الساعة التي خصها النبي عليه الصلاة
والسلام خلاف كبير.

المسألة الثامنة - مجابو الدعوة:

هناك أوصاف وأحوال دلت الأدلة الشرعية على أن الله تعالى يستجيب دعوة أصحابها، ومنها:

- المسافر؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ: دَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(١).
- الصائم، والمظلوم؛ للحديث السابق.

- دعوة الوالد لولده؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهَا لَوْلَا شَكٌّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لَوْلَادِهِ»^(٢). وفي لفظ: «دَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»^(٣).

لذلك ينبغي للأباء والأمهات أن يجتهدوا في الدعاء

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٨٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٣٣). وأخرجه أبو داود في سننه (١٥٣٦) وفيه: «دَعْوَةُ الْوَالِدِ» دون زيادة: «لَوْلَادِهِ»، أو «عَلَى وَلَدِهِ».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/٢٥٨)، والترمذي في جامعه (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٣١).

لأولادهم بالصالح والاستقامة والسعادة والخير في الدنيا والآخرة، وأن يقيهم الله تبارك وتعالى من الشرور.

- من يدعو لأخيه في ظهر الغيب؛ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلِ»^(١).

وقوله بظهر الغيب: أي في غيبة المدعو له، فيدعو لأخيه دون أن يعلم.

- المضطر، الذي أصابه الاضطرار؛ قال جل وعلا: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

فالمضطر حري أن يستجاب دعاؤه بإذن الله تبارك وتعالى.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

المسألة السابعة - الأماكن التي يتأكد فيها الدعاء، منها:

- على الصفا والمروة، كما جاء في حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي ﷺ، حيث قال رضي الله تعالى عنه: فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ». فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة، فوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعَدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ». ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات . ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشى حتى إذا أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا^(١).

- في المشعر الحرام؛ لحديث جابر الطويل أيضاً، فإنه صلى الله عليه وسلم «أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبَّره وهلَّله ووَحَّدَهُ، فلم يَزَلْ واقفاً حتى أسفر جداً، فدفع قبل أن تطلع الشمس».

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

وهذا مصداق قوله تبارك و تعالی: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨].
قال الطبري رحمه الله: «يعني بذلك جل ثناؤه: فإذا أفضتم فكررتم راجعين من عرفة إلى حيث بدأتم الشخوص إليها منه فاذكروا الله، يعني بذلك: الصلاة والدعاء عند المشعر الحرام»^(١).

- بعد رمي الجمرة الصغرى والوسطى، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات يكبر على إثر كل حصاة، ثم يتقدم حتى يسهل فيقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلاً ويدعو ويرفع يديه، ثم يرمي الوسطى، ثم يأخذ ذات الشمال فيسهل ويقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلاً ويدعو ويرفع يديه ويقوم طويلاً، ثم يرمي جمرة ذات العقبة من بطن الوادي ولا يقف عندها، ثم ينصرف فيقول: «هكذا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها»^(٢).

(١) تفسير الطبري (٤/١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه.

المسألة الأخيرة - منهيات في الدعاء:

أي ما نهى عنه الشرع في الدعاء، ومنها:

- هجر الدعاء مطلقاً، فمن الناس من لا يدعو الله أبداً، وهذا يُذكَر بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

- هجر الدعاء حال اليسر والرخاء؛ فمن الناس من لا يدعو الله تبارك و تعالى إلا في حال الاضطرار، أما في حال الرخاء فإنه لا يدعو الله تعالى، وقد قال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ﴾ [يونس: ١٢]. وفي الحديث: «تَعَرَّفَ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ»^(١).

- العجز والتكاسل في الدعاء؛ لقول النبي ﷺ: «أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ»^(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٠٧/١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني، انظر: «الظلال» (٣١٨).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥/١٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥١٩).

- النهي عن الاعتداء في الدعاء، قال الله جل وعلا: ﴿ اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥].
أي: لا يجب المعتدين في الدعاء.

وجاء عن عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: أي بني، سل الله الجنة وتعوذ به من النار؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالِدُّعَاءِ»^(١).

وهذا يكثر في هذه الأيام، يدعو بعضهم فيقول: اللهم إنا نسألك الجنة ونعيمها وروحها وريحانها... إلى آخره من التكلفات التي لا يقرها الشرع.

- ومن الاعتداء في الدعاء: أن يدعو الإنسان بأمر محرم، كأن يدعو الله أن يمكنه من شرب الخمر، أو يدعو الله تبارك وتعالى أن ييسر له السفر لفعل المحرمات، أو يُوفِّقه في تجاره محرمة، أو غير

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٨٧/٤)، وأبو داود في سننه (٩٦)، وابن ماجه في سننه (٣٨٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٩٦).

ذلك من الأمور، حتى وصل البعض ممن انتكست فطرهم إلى حال مزرية - نسأل الله لهم الهداية - فتجد البعض يصرح فيقول: أنا أصدرت شريطاً غنائياً والله الحمد والمنة! وتقول: أنا من فضل الله عليّ مثلت مسرحية ومثلتُ فيها دوراً... إلخ، يحمدون الله على المعصية، نسأل الله العافية.

- ومن الاعتداء في الدعاء: أن يدعو الإنسان بأمر يمنعه الشرع، كأن يقول: اللهم اجعل ابني نبياً!

أو يدعو بأمر لا يقره الشرع، كأن يقول: اللهم لا تدخل فلاناً الجنة، والمدعو عليه مسلم، وقد تكفل الله عز وجل بدخول المسلمين جميعاً الجنة حتى ولو مس العذاب منهم من مس.

- ومن الأمور التي ينهى عنها كذلك: دعاء غير الله تعالى، وقد تقدم أن هذا من الشرك بالله تبارك وتعالى، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠].

وقال عز من قائل: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقال جل ذكره: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا

يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥﴾ [الأحقاف: ٥].

- ومن الأمور التي ينهى عنها في الدعاء: أن يدعو الإنسان على نفسه، أو ماله، أو ولده، أو يدعو على غيره ظلماً؛ قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

جاء في تفسير هذه الآية عن كثير من أهل العلم أن هذا دعاء المتضجر الذي يدعو الله عز وجل في حال التضجر، فربما دعا على نفسه أو على أولاده أو على ماله أو دعا على خدمه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ؛ لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»^(١).

- ومن الأمور التي ينهى عنها في الدعاء: الدعاء بالإثم وقطيعة الرحم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ»^(٢).

فمن يدعو بإثم ومعصية كأن يقول: اللهم أوقع فلاناً في الزنا،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أو اللهم افضح فلاناً، وهو لا يستحق ذلك، أو يدعو أن يشرب فلان الخمر، أو غير ذلك، هذا كله لا يجوز . أو يدعو بقطيعة رحم، وقد تقدمت الإشارة إليها.

- ومن ذلك أيضاً: النهي عن تعليق الدعاء، والتعليق اعتداء في الدعاء، مثل أن يقول: اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت، اللهم ارزقني إن شئت . أو يقول: الله يوفقني إن شاء الله، تعليق الدعاء على المشيئة لا يجوز، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعِزِّمْ الْمَسْأَلَةَ وَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي؛ فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ»^(١).

- ومن الأمور التي ينهى عنها: استعجال الإجابة، وقد تقدم.

- ومن الأمور التي ينهى عنها كذلك في الدعاء: أن يدعو الله وهو في حال غفلة من قلبه وحاله، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»^(٢).

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص ٢٣).

القول فيتبعون أحسنه، وأن يجعلنا ممن يعمل بما يعلم، إنه ولي ذلك
والقادر عليه.

والله تعالى أعلى وأعلم .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د . عبدالله بن مطير الشريكة

بريد: a666666@hotmail.com

تويتر: dr_alshoreka